تأملات

لم أعش تجربة حيّة مثل مجاورة الأفق الحضاري التي حصلت في دبين في الفترة ما بين ٢٠-٢٤ أيلول ٢٠١٩ منذ مدة.

المجاورة كانت حلم خطر على بالي قبل حوالي عام عندما كنت في لقاء ايكوفرستيز في الهند في منطقة Udaipur وفي Swaraj بالتحديد.

في ذلك اللقاء أدركت كم أن العالم لا يعرف سوى القليل عن حياتنا، وقصصنا، وصراعاتنا، وأحلامنا، وأكلاتنا والقمع الممارس ضدنا والذي نمارسه على الآخرين. قصتنا غير مروية، وكم شعرت بالحاجة للتعرف على أشخاص أكثر من منطقتنا العربية لأشاركهم ماذا أعيش، كنت أبحث عنهم وأشعر أيضاً بأنهم كانوا يبحثون عن آخرين ليشاركوا القصص والأفكار والرؤى.

كنا ٢٨ شخصاً من ٩ دول عربية، من اليمن والسودان والصومال وسوريا والعراق وفلسطين والأردن ولبنان ومصر، نحمل قصص أعراق مختلفة وثقافات متعددة وأديان مألوفة وغير مألوفة وأسئلة لا تنتهي أبعد من النقطة التي أعيش فيها وأوسع من الأفكار المتكونة في عقلي.

كانت زينة هذه المجاورة أطفالها؛ صوفي وأيفا بالإضافة إلى الدجاجات والأشجار والخرفان والبط والحمير وما هو غير مرئي في التربة وما تحتها.

بدأنا مجاورتنا بجلسة نتعرف فيها على بعض عن طريق قصصنا الشخصية، خالية من أية تعريفات أكاديمية ومؤسساتية، امتدت الجلسة إلى جلستين لنبدأ بغزل نسيج من الحاضر وبحضور الجميع وبما يحمل كل شخص من تاريخ.

كنا نمشي صباحاً وعند غروب الشمس، نحضر فطورنا بخلطات الفول المختلفة؛ المصرية والسودانية والفلسطينية، نرقص ونحرك أجسادنا لنبدأ جلساتنا.

عشنا الأفق الحضاري من دون أن نتحدث عنه مباشرة، وإنما فككناه إلى نقاشات بالتنمية والاحتلال/ والرؤيا والبوصلة/ والنُدرة والوفرة/ والكرم والضيافة وبين كل هذه المواضيع كنا نخلق الوقت لنغني بلهجاتنا المختلفة ونرقص على أنغام متنوعة لنوجد معناً أكبر للتغيير الغير المخطط عن طريق "تثقيف ذواتنا".

هذا ما كنا نفعله "نثقف ذواتنا" بطريقة بسيطة وفيها كمية كبيرة من الفرح والانبساط والأمل. كيف أروي قصتي وأصغي لغيري، أنسج رحلتي بالتعلم ضمن أفاق التنوع الذي أعيش حالياً.

في اليوم الثالث بالتحديد، شعرت بأني في مكان مختلف في العالم وأعيش حالة من العفوية المخلوطة بالتعلم والصدق. في الصباح تحدثنا عن الرؤيا والبوصلة وأين أنا من الواقع الذي أعيش وكيف لقناعاتي أن تتشكل من تجاربي التي تشكل رؤيتي وتحدد بوصلتي

للتعلم. وأنا بالجلسة بدأت بكتابة تسلسل حياتي وكيف تشكلت قناعاتي من تجاربي الشخصية وكيف كنت مثل الببغاء "حافظ ومش فاهم"، والأصعب بأني كنت أدافع عن معرفة تربيت عليها من دون دراية بقدرتي على أن أكون مصدر معرفة وفهم. أدركت بأهمية أن أكون مرنة ولكن من دون أن أُكْسَر، وكيف أرى التنوع وأتنوع في طريقة تفكيري حسب السياق الذي أعيش.

بعد الجلسة كان في المساحة من يقوم بتجديل أوراق الموز مع سناء، استخدامنا لأصابعنا لننسج ما هو جميل ومتوفر من حولنا بالطبيعة أضاف الكثير للعلاقات التي نقوم بنسجها معاً، وفي الطرف الآخر من الغرفة كان من يرقص أو يتحدث ويتناقش، مساحة كلها طاقة وحياة. ثم ذهبنا في جولتنا المسائية للتأمل بصحبة غروب الشمس لينتهي اليوم بليلة رقص مجنونة معجونة بأغان مصرية وسودانية وفلسطينية وأردنية وعراقية وبحفلة شواء من دجاجات المزرعة بخلطة حمادة السحرية، كان يوم ولا أروع ولا أصدق.

في هذه المجاورة تأملت بمعناها وأشكالها وأعطتني الفرصة لأفكربالمجاورات التي تتخطى الحدود الجغرافية، شعرت بأن كلاً منا كان يعيش حالة مجاورة في المكان الذي يقيم فيه، كانت أرواحنا في حالة تجاور وهذا اللقاء سمح للأرواح بأن تتلاقى لمن استطاع أن يعبر الحدود السياسية في حين أن هذه الحدود منعت آخرين من أن يكونوا حاضرين معنا بجسدهم.

تناقشنا بالسابق كثيراً حول أشكال المجاورات المنظمة وأشعر حالياً بارتياح لاستخدام كلمة "تدبير المجاورة"، معنى الاسم تَّدْبِيرُ: حسن القيام على الشيء والتَّدْبِيرُ نِصْفُ الْمَعيشَةِ ومن مرادفات كلمة تدبير: فَطِنَة، كِفَايَة، حُنْكَة، حِكْمَة.

مجاورتنا كانت غنية ودسمة وخفيفة في نفس الوقت، خفيفة لأن مكوناتها لم تحتوي على ما هو اصطناعي أو مُعدل جينياً ولم تحتاج لأية وسائل مساعدة لهضم المعرفة، كل ما كان موجود متاح ومتوفر لدينا، مغذي ويسهل على الإنسان هضمه، يتسلل إلى جسمنا ويغديه لحاضره ومستقبله ويشفيه من سمومه المتراكمة.

ريف فاخوري - الأردن

تأملات

الإنسان شريك بتكوين المعنى وبفهمه، القاعدة الذهبية التي حصلت عليها في مجاورتي مع فريق متنوع ورائع من أكثر من ٩ جنسيات عربية.

الدينار لا تساوي دينار...
الدينار في الزرقاء قيمتها الشرائية مختلفة عن عمان وقس على ذلك جميع الأمور.

ضع التعاريف الأكاديمية تحت التجربة وكن شريك في تكوين المعنى من زاوية معرفتك الغنية... انت مصدر.. مصدر هام.

تجاربك الحياتية مصدر الهام وتعلم أنت بطل حياتك، فلا تسمح أن تنتشر سموم المدنية والأكاديميا في انحائك.

وجه بوصلتك في التعلم نحو التعافي من كل ما هو ممرض فكرياً وروحياً وبعيد عن طبيعتك، والحل دائما في الجذور.. فلا ترهق نفسك بالبحث في بين الأغصان.

ارتمي في احضان التجارب الشخصية ممن هم حولك كلما شعرت بالضياع واستنتج الخلاصة بما تناسب فهمك وامضي بها في مشوار حياتك لا دنياك.

اجعل قيمك واضحة المعالم وثابتة في ساق واترك الساق الأخرى تدور بحرية في حقل التجربة.

لا تكف عن مجاورة العالم بالإنصات العميق المدرك، ولا ترضى ان تتخذ حياتك شكل عامودي متصاعد في سلم بائس قائم على افتعال الندرة.

اغني نفسك بالوفرة المتوافرة ومن القليل، الجود بالموجود بكل شيء.

أكرم نفسك بالأخذ وافسح لنفسك المجال لأن تقبل المساعدة، فالناس خلقت للناس.

التنمية هي كما تراها وتشعر بها وبثمارها، لا يوجد تنمية بلا ثمار تعاود لتنتج أشجار.. فانتبه.

الكلمة قصة فلا تستهين بقاموس حياتك ولا تلقي بداخله سوا ما يحمل المعنى الذي يمثلك.

وعلى دوام الحال والأمر.. ابقى بعافية من كل سوء على ثلاث أصعدة رئيسية عقلك وقلبك ونفسك.

أما روحك فستظهر بمعانها الاخاذ الرائع عندما تتحرر من كم السموم والقيود.

دينا زعبلاوي-الأردن

تأملات

بدأت المجاورة من ثلاث شهور أو اكثر مع منير وريف ودينا وصوفي وميس، مكنتش فاهمة او عارفة سبب وجودي وأهميته... لبين ما وصلت دبين والتقيت المجموعة الاكبر.

حمادة نجود سارة حرب سارة عبدالرحمن وسارة وسما وسرور وكريم واحمد ومها ومحمد والحاج وسناء وتينا ومجدي ونايمان وسلام وهند ودينا وايفا ورندة وغادة وفاطمة ... وعلى قولة منير السر في الخلطة.

وعلى هاد الأساس بدات اعيش الخمسة ايام، من احتضان شجرة الخروب، بتنوع الحياة الي فيها، لصوت وريحة الدجاجات ولون الشمس النحاسي وهي عم تكسر استعدادا للغروب على حصيرة مفرودة علارض البنية الخشنة المفرودة ببواقي الشجر والحجر...

عيون بتبرق مليانة فضول وأمل، عيون فيها شغف... عيون تكشف الروح الي جواها وتعكسها، ارواح وعوالم اتفتحت بمشاركة الحكي والصمت، الحركة والاكل، الابتسامة والضحك. والدموع والحضن، الهجص والرقص والغناء... ايدين وصدر مفتوح دايما للحضن مش مهم قولنا ايه وفاهمين ايه من الي تقال المهم الاحتواء والاحترام لوجود كل حد حتى صوفي وايفا الي كنا بنوقف الجلسة عشان نسمعهم (بلغتهم).

احتواء، ود، احترام، مشاركة، تغميس بالاكل والحياة، كرم، بساطة، بهجة، تناغم، تقل وخفة... كلمات تخطر عبالي من التجربة.

انعكاسات جميلة تكون حاضرة لمن يوقف حمادة قدام الحاج ويبدا يرقص... او الشجاعة الي بثتها النار واحنا حولها في محمد عشان يغني لاول مرة... تيار من الانسجام والحب الي انخلق لمن بدأنا

نرقص سوا... سارة حرب وتفاصيل الجلابية الفلاحي... سارة عبدالرحمن وطلعت كل اغنية وتوجيه الرقص... صمت سارة وفاطمة... مغازلة مجدي للجيتار... اعصار دينا الي كان احتواءه بالمجموعة حياة... بركان تينا الي انفجر سال وجمد ليشكل تضاريس جديدة في وعيي عن رحلتنا... علاقة شمس وايفا الي انبنت خلال ساعات وتوطدت من خلال دينا بسلان.. صوفي تركيزة مع الجاجات صوتهم وحركتهم... ريف وطبلتها وكمية الاغاني الشعبية الي بتأديها... الرقص مع العصا ودينا وكمية الخيال الي فاضت.. صوت وابتسامة رندة... علاقة صوفي وسلام الي بتغلفها البهجة.. صوت سرور الدافي بالغناء ... (على سبيل المثال لا الحصر) صور كتير تانية كتير شكلت معالم جديدة في وعيي وادراكي عن المساحات المشتركة والتفاعل الي بيحصل فيها.

قصة ابتدت من سنوات بعلاقتي مع جسدي، تجسدت لحظة سمعت اغاني ام كلثوم عالية في الصالون، بدأ الحديث داخلي واتفقت مع نفسي اني استمتع واكون عايشة وهاد الي صار، تمايلت على الاغاني... مع جو من البهجة الي انخلقو اساسا بالمطبخ وسلام وحمادة عم يحضرو العشا... حسيت بخفة وحسيت اني حييت.. بدأو الناس يتجمعو ويلحوقو النغمات باجسادهم... حتي صارت المزرعة كلها عم تنبض رقص... هون القمة هون الحياة هون احنا... بتعملي شي من قلبك، بينعكس علي قدامك... وغيرو وغيرو لنصير مجموعة بتنبض بتعيش بدون كلام بدون تحليل بدون قلق.

كان الرقص هو المعلم... هو المرآة

عائشة جمال - الأردن/السودان